أسلوب الدعوة الإسلامية من القرآن والسنة

بقلم

دكتور

رمضان عبد المطلب خميس

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين – القاهرة

٢٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعاملين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، كما أصلى وأسلم على جميع الأنبياء والمرسلين .

أما بعد ..

فإن الدعاة الى الله سبحانه وتعالى فى أمس الحاجة الى معرفة أسلوب الدعوة الإسلامية من القرآن والسنة ، وذلك لوجوب تبليغهم هذه الدعوة كما قال تعالى : " (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)(التوبة: من الآية١٢٢) ، وترجع أهمية معرفة أسلوب الدعوة الى المسلمين جميعا وذلك لقيام المسلمين جميعاً – كل بقدر ما يعلم فى الدين فيما بينهم – بواجب الأمر بالمعروف والترغيب فيه والنهى عن المنكر والتحذير منه، فإذا رأى أحد المسلمين أخاه على منكر هو يعلمه تصدى لنصحه وإرشاده، كما قال تعالى : "(والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (سورة العصر) . إذا فمعرفة أسلوب الدعوة يأتى بنتيجة طيبة عند القيام بالتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، وأسلوب الدعوة الذى يجب السير عليه والعمل بمقتضاه جاء فى قوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) (النحل:١٢٥) وبدون هذا الأسلوب القرآنى لا يكون من المدعو سوى الإصرار والعناد ، ولأهمية هذا الأسلوب أخترت الكتابة فيه لأقدمه لحولية كلية أصول الدين – بالقاهرة ، واسميته: "أسلوب الدعوة الإسلامية من خلال القرآن والسنة النبوية" وهو يحتوى على تمهيد وثلاثة مباحث :-

التمهيـد :

وبه سبب الاختيار والخطة .

والمبحث الأول بعنوان أسلوب الدعوة الى الله تعالى بالحكمة ويحتوى على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الحكمة لغة ، واصطلاحاً.

المطلب الثانى : الحكمة من خلال القرآن الكريم .

المطلب الثالث : الحكمة من خلال السنة النبوية الشريفة .

والمبحث الثانى بعنوان "اسلوب الدعوة الى الله بالموعظة الحسنة ويحتوى على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الموعظة الحسنة لغة ، واصطلاحاً.

المطلب الثانى : الموعظة الحسنة من خلال القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الموعظة الحسنة من خلال السنة النبوية الشريفة.

والمبحث الثالث بعنوان أسلوب الدعوة الى الله بالمجادلة بالتى هى أحسن "ويحتوى على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف المجادلة بالتى هى أحسن لغة - اصطلاحاً .

المطلب الثانى : المجادلة بالتى هى أحسن من خلال القرآن الكريم.

المطلب الثالث : المجادلة التى هى أحسن من خلال السنة النبوية الشريفة .

وبالله التوفيق،،

المبحث الأول
أسلوب الدعوة الى الله تعالى بالحكمة

وقد ابتدأت بالحكمة كاسلوب من أساليب الدعوة الى الله تعالى كما بدأ الله بها فى قوله عز وجل : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:١٢٥) .

المطلب الأول : تعريف الحكمة لغة ، واصطلاحاً .

أولا : تعريفها فى اللغة :

الحكمة : عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وينال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم ، والحكمة العدل ، ورجل حكيم : عدل حكم ، وأحكم الأمر : أتقنه ، ويقال للرجل إذا أحكمته التجارب أنه حكيم ، والحكيم : المتقن للأمور ، وحكم الرجل يحكم حكماً إذا بلغ النهاية فى معناه مدحا لازما ، واستحكم الرجل إذا تناهى عما يضره فى أمر دينه أو دنياه ، وحكم فلان عن الأمر أى رجع ، وحكم الرجل وحكمه وأحكمه : منعه مما يريد ، وحكمت السفيه . وأحكمته اذا أخذت على يده ، والحكمة بفتح الحاء والكاف : حديدة فى اللجام تكون على أنف الفرس. ([1]) .

والحكم بالضم القضاة وقد حكم عليه بالأمر حكماً ، والحاكم منفذ الحكم ، وحاكمه الى الحاكم دعاه وخاصمه ([2]) .

ويتضح مما سبق أن الحكمة فى اللغة ذكرت بأكثر من معنى ، فجاءت كما يلى :

١- بمعنى معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم .

٢- معرفة دقائق الصناعات وإتقانها .

٣- بلوغ النهاية فى الحكم .

([1]) لسان العرب لابن منظور مجلد ١٢ ، ص ١٤٣، ١٤٤ (بتصرف). (دار الفكر للطباعة).

([2]) القاموس المحيط : للفيروز آبادى ، ص ٩٨٨ (بتصرف) - طبعة جديدة ، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعى - دار الفكر ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٤- التناهى عما يضر فى أمر الدين والدنيا .
٥- الرجوع فى الأمر .
٦- الأخذ على اليد .
٧- الاستدعاء والمخاصمة .
٨- القضاة والحكام .
٩- حديدة فى اللجام تكون على أنف الفرس.

وكل هذه المعانى أتت فى اللغة على حسب ورودها فى الكلام من حيث تشكيل الكلمة وموقعها فى الكلام .

ثانيا : الحكمة فى الاصطلاح :

ذكر الإمام الرازى (١) أن الحكمة فى القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى مواعظ القرآن : وهو ما جاء فى قوله تعالى : (وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ)(البقرة: من الآية٢٣١) .

الثانى : جاءت بمعنى الفهم والعلم وهو ماجاء فى قوله تعالى، مخبراً عن سيدنا يحى عليه السلام : " وآتيناه الحكم صبيا" وقوله تعالى "ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر لله"(٢). آتيناه الفهم والعلم .

الثالث : بمعنى النبوة (٣) والرسالة ومنه قوله تعالى "فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة(٤) يعنى النبوة وقوله "وآتيناه الحكمة وفضل الخطاب"(٥) وقوله تعالى "وآتاه الله الملك والحكمة"(٦).

الرابع : بمعنى القرآن الكريم بما فيه من عجائب الأسرار : وهو فى قوله تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة"(٧) وفى الآية "ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً(٨).

---

(١) التفسير الكبير للإمام الرازى ، مجلد ٤ جـ ٧ ، ص ٧٤ (بتصرف). ط دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
(٢) لقمان : ١٢ .
(٣) الرسالة مقدمة كتاب الأم للإمام محمد بن (درويش الشافعى ط١ ص ١٣ ط بولاق ١٣٢١هـ
(٤) النساء : ٥٤ .
(٥) النساء : ٢٠ .
(٦) النساء : ٢٥١.
(٧) النحل : ١٢٥ .
(٨) البقرة : ٢٦٩

وذكر الإمام إبن كثير عن الحكيم قوله : هو الحكيم فى أفعاله وأقواله فيضع الأشياء فى مجالها(١).

والتعريف المناسب من ناحية علاقة الحكمة بالشرع وبالإنسان وبالواقع والغاية وارتباطها(٢) بمفهوم الدعوة : أنها حساسة الصواب الكامنة فى كيان الداعية محددة له فى واقع الدعوة سبيل الوصول الى الغاية(٣) ولتحديد معناها فى مجال الدعوة اكثر : (٤)أن يكون الداعية واعياً لدعوته فأهماً لقصده وعليما بأفضل الطرق المؤدية الى الغرض على خير وجه وبالقواعد التى تلزم لأنماط المدعوين وطوائفهم(٥) .

وقد أورد الإمام الرازى فى تفسيره أن الحكمة من حيث مفهومها تنقسم إلى قسمين (٦) : نظرية وعملية وذلك تبعاً لما يقصد منها اما العلم وإما فعل الصواب وذلك كما يلى :-

أولاً : الحكمة النظرية : وهى التى يقصد بها العلم : وذلك فى قوله تعالى "رب هب لى حكما"(٧) وهذا من جملة دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهو المقصود بالحكمة النظرية ، وقوله تعالى عندما نادى موسى عليه السلام : "إننى أنا الله لا إله إلا أنا"(٨) وقوله تعالى عن عيس عليه السلام " أنى عبد الله"(٩) وفى حق سيدنا محمد ﷺ جاء قوله تعالى (فأعلم أنه لا إله إلا الله"(١٠). وفى حق جميع الأنبياء قوله تعالى " (يُنَزِّلُ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط١ ، ص ١٨٤.
(٢) الأسس الفنية للدعوة د/ خليفة حسن العسال بحث لحولية كلية أصول الدين بالقاهرة ، ص ٢٩٨ العدد الحادى عشر ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م.
(٣) رفاعى سرور : حكمة الدعوة ص ٥ ، ٨ ط مكتبه وهبه - القاهرة .
(٤) منهج القرآن الكريم والسنه فى الدعوة د. محمود يوسف كريت ص ٧٥ ط ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م مطبعة النهضة العربية .
(٥) منهج الدعوة الإسلامية فى ضوء القرآن الكريم د. عبد القادر سيد عبد الرءوف بحث بحولية طلية أصول الدين - القاهرة ، ص ٢٣٧ (بتصرف) العدد الخامس ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
(٦) الدعوة الإسلامية أركانها ومناهجها د/ رمضان عبد المطلب خميس ص ٢٤٨ (يتصرف) (٥) الشعراء : ٨٣ .
(٧) الشعراء : ٨٣ .
(٨) طه : ١٤
(٩) مريم : ٣٠
(١٠) محمد : ١٩

الْمَلآئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا)(١) .

ثانيا : الحكمة العملية : وهى المقصودة من قوله تعالى فى تتمة دعوة ابراهيم عليه السلام : " وألحقنى بالصالحين"(٢) ، وقوله تعالى: مخاطبا موسى عليه السلام : "فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى"(٣)، وقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : "وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً" (٤) ، وفى حق سيدنا محمد ﷺ قال تعالى : "واستغفر لذنبك"(٥) ، وفى حق الأنبياء جميعاً ، قال تعالى : "فاتقون"(٦) ، وهذا جملة ما ذكره الرازى فى مفهومها (٧) .

وقد ذكر الإمام القرطبى قريباً من هذا فى تفسيره وجمع بين الحكمة النظرية والعملية فى ذكره لقول مجاهد : الحكمة هى الإصابة فى القول والفعل، وقول مالك بن أنس : الحكمة هى المعرفة بدين الله والفقه فيه والاتباع ، وقول الربيع بن أنس : الحكمة : الخشية وقول الحسن: هى الورع ، ثم يقول القرطبى بعد ذكره لهذه الأقوال : وهذه الأقوال قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الاحكام وهو الإتقان فى قول أو فعل فكل ما ذكر هو نوع من الحكمة التى هى الجنس (٨) .

وللحكمة عناصر لابد من الإلمام بها بعد معرفة معناها حتى يصل الدعاة عن طريقها الى الهدف المنشود هى :

اولا: القول اللين : وهو من أوليات شروط البيان الذى توجه به الرسالة، ومعناه : أن يكون بالقول الرفيق المهذب وهو الذى تنجذب اليه النفوس والقلوب وهو ما أمر الله به موسى وأخاه هارون عليهما السلام اذ كلفهما أن يذهبا الى فرعون الذى طغى فيدعوانه الى سبيل ربه فقال الله

---

(١) النحل : ٢
(٢) الشعراء : ٨٣
(٣) طه : ١٤
(٤) مريم : ٣١
(٥) محمد : ١٩
(٦) النحل : ٢
(٧) التفسير الكبير للإمام الرازى ، مجلد ٤ ، جـ ٧، ص ٧٤ (مرجع سابق).
(٨) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ، جـ ٢ ، ص ١١٣٨ (بتصرف) ، دار الريان للتراث .

تعالى فى حكاية خطابه لهما : (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (طه:٤٤) .

ثانيا : مراعاة المنزلة الاجتماعية لمن توجه له الدعوة : بمعنى أن المخاطب اذا كان فى رياسة فى قومه ، ومن المعتاد فى مخاطبته إطالة مقدمات العرض التكريمية قبل ذكر المقصود بالذات ، فمن الحكمة مراعاة هذا الاسلوب قبل دعوته أو نصحه ، وهذا ما أوصى الله عز وجل به موسى عليه السلام فيما علمه أن يقوله لفرعون الذى طغى ، فقال تعالى: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى* وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى) (النازعات: ١٧-١٩) ، فنجد من التلطف التكريمى قبل عرض المقصود بالذات بأن يبدأ العرض بقوله " هل لك الى أن تزكى " و "هل" كلمة استفهامية فيها معنى العرض التخيرى ، لا التكليف الالزامى ، و"لك" لفظ به حرف الجر وكاف الخطاب وكان من الممكن الاستغناء عنهما ، لكن التلطف بتطويل مقدمات العرض التكريمى استدعاهما . و "الى أن " (الى) حرف جر و (أن) حرف ناصب للفعل المضارع ويؤول مع الفعل المضارع بمصدر ، وقد كان من الممكن الاستغناء عنهما أيضاً ، لكن التلطف بتطويل مقدمات العرض التكريمى استدعاهما ، وقوله " تزكى " ومع بدأ عرض المقصود بالذات نجد فيه اختصار فى اللفظ إذ أصل الفعل (تتزكى) فحذفت احدى التائين اختصاراً، وكان من الممكن توجيه الأمر المباشر له فيقول له موسى عليه السلام : (هل تتزكى) لكن فى مثل هذا الخطاب إغضاب له وتنفير ، اذ هو على غير ما يعتاد من مخاطبات له ، فهو مناف للحكمة .

ثالثا : ومن عناصر الحكمة : البيان المقرون بالبرهان أو بالحجة الصحيحة المقبولة : وهذا اذا كانت القضية المعروضة من قضايا الحق التى يراد الإقناع بها ، فمن الحكمة أن يكون هذا البيان مقرونا بالبرهان أو الحجة التى تقنع من توجه له الدعوة ، وهو فى قوله تعالى " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً)(الفرقان:١-٣) .

فقضية الحق هنا أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لكل شيء وجاءت القضية مقرونة بالبرهان وهو أن الالهة التى تعبد من دون الله لا تخلق بل هى مخلوقة ولا تملك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة . وهذا كثير فى القرآن وسوف أذكر ذلك بشيء من التوضيح عند الكلام فى المطلب الثانى عند الكلام عن الحكمة فى القرآن الكريم إن شاء الله .

رابعا: ومن عناصر الحكمة : مراعاة المستوى الفكرى والعلمى لمن توجه اليهم الدعوى : لأنه من المعلوم أن الناس ليسوا على مستوى فكرى واحد، فمنهم الذكى ، ومنهم دون ذلك تنازلاً حتى درجة الأغبياء ضعفاء العقل والتفكير ، وكذلك القضايا الفكرية والأساليب البيانية التى يخاطب بها العلماء غير التى يخاطب بها العامة فلكل صنف ما يلائمه ويقنعه من قضايا واساليب .

خامسا: ومن عناصر الحكمة : مراعاة الجوانب العاطفية التى تقتضيها الصلات والعلاقات الاجتماعية: فعلاقات الداعى بأهله وأقاربه تختلف عن غيرهم فينبغى على الداعى أن يستفيد من المؤثرات العاطفية بينه وبين من يوجه اليه الدعوة فيستفيد من دعوة ابراهيم عليه السلام لأبيه اذ كان يخاطبه بتذلل الإبن لأبيه : بقوله له كما أخبرنا الحق تبارك وتعالى عن ذلك بقوله : "(يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) (مريم:٤٢) ، وفى دعوة الإبن شفقة الأب ورحمته وحنانه وهذا يستفاد من قصة لقمان مع ابنه ونصحه له بقوله كما ذكر الحق (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك لمن عزم الأمور) (لقمان:١٧) ، وفى قصة نوح عليه السلام (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين)(هود: من الآية٤٢). وكذلك الصاحب والرفيق ، وهذا وارد فى قصة يوسف عليه السلام كما ذكر الحق تبارك وتعالى : يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) (يوسف:٣٩) .

سادسا : ومن عناصر الحكمة : مراعاة الحالة النفسية لمن توجه إليهم الدعوة " فحالة الإنسان النفسية فى المرض غير حالته وهو صحيح سليم ، وحالته النفسية وهو غنى غير حالته النفسية وهو فقير تلح عليه الحاجة ، وحالته النفسية وهو فى المأتم غير حالته النفسية وهو فى فرح ، وحالته النفسية وهو ذو رياسة وعز ، غير حالته وهو فى ضعف وذلة ومهانة ، وحالته وهو غضبان ، غير حالته وهو راض منشرح الصدر ، وحالته وهو جاد غير حالته وهو هازل يضحك ويلعب ,

فكل هذه العناصر التى ذكرها الشيخ عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى(١) لابد من وضعها فى اعتبار الدعاة وأن يجعلوها نصب أعينهم حتى يحسنوا تبليغ الدعوة بهذا الأسلوب وهو الحكمة .

المطلب الثانى : الحكمة من القرآن الكريم

القرآن الكريم ملىء بالحكم وهو المعين الأول الذى يأخذ منه الدعاة فى كل عصر الحكمة التى تفيدهم فى الأسلوب الصحيح الذى يسهل لهم مهمة تبليغ الدعوة الإسلامية ، والقرآن كالمشكاة التى تكشف الطريق أمام الباحثين ، وهو كله شفاء وغذاء يقول تعالى:

(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)(الاسراء: من الآية٨٢) .

وقال الإمام العارف بالله الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق رحمه الله فى كتابه التفكير الفلسفى :

" ولكن القرآن لم يكن يلقى القول على علاته وإنما يأتى بالقضية مبرهنا عليها بالدليل تلو الدليل فيرضى العقل ويطمئن النفس ويقود الضمير الى الإذعان" (٢).

وأدلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل الفوى وسائر الأدلة كالأطعمة التى ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ، ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً ، وفى القرآن كل كفاية لتوصيل دعوة الله وتحقيق وحدات المنهج (٣) .

وقد وردت نماذج كثيرة من الحكمة فى القرآن الكريم أذكر منها (٤) على سبيل المثال لا الحصر :

---

(١) فقه الدعوة الى الله / عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى ج١ ، ص ٦٢١ ، ٦٢٨ ومابعدها (بتصرف) ط ١٤١٧ هـ - ١٩٦ م نشر دار القلم ، دمشق .

(٢) التفكير الفلسفى فى الإسلام ، د/ عبد الحليم محمود ، ص ٥٨ ، ط ٣ ، ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٨م ، مطابع دار النصر .

(٣) الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى ، د/ رؤوف شلبى ، ص ٢٤٢ ، وماقبلها (بتصرف) ط٣، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، دار القلم ، الكويت .

(٤) ذكر بعضها أ.د./ محمود يوسف كريت فى كتابه منهج القرآن والسنة فى الدعوة ، ص ٧٩ (مرجع سابق) وذكرها بطريقة موسعة أ.د./ عبد القادر سيد عبد الرؤوف فى كتابه " منهج الدعوة الإسلامية فى ضوء القرآن والسنة ، ص ١٢، ١٣، ط١ ، ١٤١٣ - ١٩٩٢ م ، دار الطباعة المحمدية.

١- ما جاء فى قوله تعالى :(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً) (الاسراء:٨٤) .

٢- وما جاء فى قوله تعالى:

(هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ الأ الإِحْسَانُ) (الرحمن:٦٠) .

٣- وما جاء فى قوله تعالى :

(وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ)(فاطر: من الآية٤٣)

٤- ما جاء فى قوله تعالى :

(وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان:١٢-١٩) .

٥- ما جاء فى قوله تعالى :

(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً *إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً *وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً* وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً *إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً * وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً * وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً * وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً * وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً * وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ

طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً)

وهذا عرض موجز لنماذج للحكمة من القرآن الكريم أكتفى به .

المطلب الثالث : الحكمة من السنة النبوية المطهرة

وإذا انتقلنا إلى الحكمة من السنة النبوية المطهرة لنتعرف من خلالها على أسلوب الحكمة حتى يستضىء بها الدعاة ، وجدنا أن السنة النبوية مليئة بأسلوب الحكمة وذلك لأن الله تعالى قال : (مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم:٤) . وقال : (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء: من الآية١١٣) وقد أثنى الله على نبيه محمد ﷺ بقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤) .

وسأختار بعض النماذج للحكمة من السنة النبوية حتى يستضىء بها الدعاة فى طريق الدعوة الى الله كما يلى :

النموذج الأول

وهذا النموذج يوضح أسلوب الحكمة الذى استخدمه الرسول ﷺ مع الحصين الذى كانت قريش تعظمه وتجله وأرسلوه إلى رسول الله لينتهى عن دعوته فلما جاء إلى النبى ﷺ قال : أوسعوا للشيخ : فقال حصين : ما هذا الذى بلغنا عنك إنك تشتم آلهتنا وتذكرها ؟ فقال رسول الله ياحصين؟ كم تعبد من إله ؟ قال سبعة فى الأرض وواحد فى السماء: قال: فإذا هلك المال من تدعو ؟ قال الذى فى السماء : قال : فإذا أصابك الضر لمن تدعو ؟ قال الذى فى السماء ، قال:فيستجيب لك وحده وتشرك معه؟ أسلم تسلم ، فأسلم ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه شيعوه الى منزله[1].

فأسلوب الحكمة من رسول الله ﷺ جعل الحصين يدخل فى الإسلام بلا تردد وخاب أمل الذين أرسلوه من المشركين .

---

(1) السيرة الحلبية للعلامة على بن برهان الدين الحلبى ، ج ١ ، ص ٣١٨ ، ط٣ ، ١٣٥١ هـ- ١٩٣٢ م ، المطبعة الأزهرية .

النموذج الثانى

أذكر فى هذا النموذج الأسلوب الذى واجه به النبى ﷺ عتبه بن ربيعة حين عرض على رسول الله أمورا لعله يرجع عن الدعوة إلى الله وهذا ما ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية: " أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال ذات يوم وهو جالس فى نادى قريش ، ورسول الله ﷺ جالس وحدة فى المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها ويكف عنا قالوا : بلى يا أبا الوليد : فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخى انك منا حيث قد علمت من الشطر فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد اتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى حتى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال له رسول الله ﷺ :" يا أبا الوليد اسمع" قال : يا بن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وأن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. حتى إذا فرغ عتبة قال له النبى ﷺ "افرغت يا أبا الوليد " ؟ قال نعم ! قال اسمع منى، قال أفعل فقال رسول الله ﷺ ! (حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1] فمضى رسول الله ﷺ يقرأها فلما سمع بها عتبة أنصت لها والقى بيديه خلفه معتمدا عليها ليسمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجدها ثم قال: "سمعت يا أبا الوليد " ؟ قال سمعت قال: " فأنت وذاك" ثم قال عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلسوا اليه قالوا ما وراءك يا أبا الويد قال ورائى أنى والله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر ولا الكهانة، يا معشر قريش:

خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فو الله ليكون لقوله الذى سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه وبغيركم، وإن يظهر

---

(١) سورة فصلت الآية ١: ٣.

على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به،قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه . قال: هذا رأى لكم فاصنعوا ما بدا لكم[1]

وهذا النموذج به أسلوب النبى ﷺ الذى جعل عتبة لا يتكلم ويقوم إلى قومه وينصحهم بالتخلى عن رسول الله ﷺ ودعوته هذا ان لم يؤمنوا به وبدعوته ، وأسلوب النبى ﷺ فى الدعوة بالحكمة أنه ليس بقط ولا غليظ ولاسباب ، بل بالحكمة السديدة والكلمة الرشيدة التى يتوجه بها إلى أصحاب العقول فتهديهم، وأصحاب البصائر فينقادون لها[2].

وللأثر الواضح من أسلوب الحكمة التى تؤدى إلى هداية العقول والانقياد للدعوة الإسلامية وذلك لأن الحق فى أسلوب الحكمة فى السنة أبلج وأما الباطل فى مواجهة هذا لجلج.

---

(١) البداية والنهاية لأبن كثير مجلد ٢ جـ٣، ص ٦١،٦٢، (بتصرف) ط دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. والسيرة النبوية لابن هشام ط ١ ص ١٨٣. ط ١ ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م. مكتبة الإيمان.

(٢) الدعوة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة د/ محمد رجب الشتيوى ص ١٣٩، (بتصرف) ط ١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

المبحث الثانى : أسلوب الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة

تمهيد:

ومن أساليب الدعوة إلى الله الموعظة الحسنة وبها يظهر الدعاة ان هدفهم هو حب الخير للناس بهذا الدين وحماية مستقبلهم فى الآجل والعاجل ، ولا يرد الدعاة السيئة بمثلها وهم قادرون عليها والذى يمنعهم الأسلوب المفروض عليهم " أدفع بالتى هى أحسن" وتلك الوظيفة تحتاج إلى سماحة تستعلى على دفعات الغيظ وشحنات الغضب وتحتاج إلى قوة توازن بين الدفع بالتى هى أحسن وبين السماحة التى تستعلى على الآلام والغضب والغيظ ،وهى معادلة دقيقة وصعبة جدا ولكنها لازمة فى تبليغ الدعوة حتى يستمر الداعية نشيطا تدفعه الحسنى فى المعاملة إلى مزيد من العمل دون حساب لسيئات المناهضين للدعوة[١]، وفى السيرة الحلية: وفى الإنسان طابع الحياء والشهامة التى تحب أن تعود إلى الحق وتعترف به كفضيلة خلقية لها، ولهذا أشاد القرآن الكريم بالموعظة الحسنة كأسلوب ووصف لنوع الكلمة التى يستخدمها الداعية فى تبليغ الدعوة لأنها تتلاءم مع طابع الحياء أو الشهامة التى يتحلى بها الإنسان غالبا ولقد كان من نفحاتها اسلام عمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب ، فقد ارجعتهم إلى صوابهم حسنات المسلمين فانقلبت ضراوتهم على الإسلام له تحمسا وانتصارا[٢]، وما احوج الدعاة فى هذا العصر إلى الموعظة الحسنة وخاصة فى المجتمعات البدائية التى لا تحتاج فى نشر الإسلام إلى أكثر من السلوك الطيب والكلمة الطيبة والمعاملة بالمعروف.

المطلب الأول : تعريف الموعظة الحسنة لغة واصطلاحا .

اولا: تعريفها فى اللغة:

ذكر ابن منظور فى كتابة" لسان العرب" تحت مادة " وعظ" الوعظ والعظة والموعظة : النصح والتذكير بالعواقب، قال ابن سيده: هو تذكيرك الإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب وفى التنزيل : (فَمَنْ جَاءَهُ

(١) الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى د/ رؤوف شلبى ص٣٤٧ (بتصرف) مرجع سابق.

(٢) السيرة الحلية جـ ١ ص ٣٢٢،٣٦٧، (مرجع سابق) والدعوة الإسلامية فى عهدها المكى د/ رؤوف شلبى ص ٣٤٨ (بتصرف).

مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ)"[١] ولم يجئ بعلامة التأنيث لأنه غير حقيقى أو لأن الموعظة فى معنى الوعظ حتى كأنه قال: فمن جاءه وعظا من ربه[٢].

وفى القاموس المحيط : مادة (وعظ): وعظة يعظه وعظا وعظة وموعظة: ذكره بما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ[٣]، ومما سبق يتضح أن الموعظة الحسنة فى اللغة تذكر بمعنى الوعظ والتذكير بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى أو بهما معا ليلين قلب الإنسان.

ثانيا: الموعظة الحسنة فى الاصطلاح :

وللموعظة الحسنة فى الإصطلاح عدة تعريفات أذكر منها:

١- هى مجموعة العبر النافعة والخطابات المقدمة والإشارات المخوفة على وجه لا يخفى على المدعوين أن الدعى يناصحهم بها[٤] وهذا التعريف ذكره الإمام الألوسى عند تفسيره للموعظة الحسنة.

٢- هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذى يرق له القلب ويبعث على العمل[٥].

٣- هى الكلمة الطيبة التى تخرج من فم الداعية بإخلاص لتصل إلى عقول الناس . فيجدون فيها الخير والسعادة ويحسون من خلال كلمته أنه صادق وحريص على جلب الخير لهم[٦].

٤- هى الكلمة الرقيقة ، التى تلمس القلوب فترق بها، وتخالط النفوس فتهش لها وتفرح بها، وتحمل للناس البشرى وتأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والصواب وهى البلسم الشافى يداوى الجراح ويخفف الآلام وذلك عندما يلقيها الداعية لا يقصد بها إلا ابتغاء مرضاة

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٥

(٢) لسان العرب لابن منظور مجلد ص ٤٦٦ (مرجع سابق)

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادى ص ٦٣٠ (مرجع سابق)

(٤) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم للعلامة الألوسى حـ١٤ ص ٢٥٤ طـ١ المطبعة المنيرية القاهرة.

(٥) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص ٧٢ طـ ٤ نشر دار الاعتصام ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

(٦) منهج الدعوة الإسلامية فى ضوء القرآن والسنة د/ عبد القادر سيد عبد الرؤوف ص ١٦،١٧، مرجع سابق.

٧- أن يعلم الواعظ أو الداعية أحوال الناس من حيث طباعهم وأخلاقهم وتاريخهم - بقدر المستطاع - ببعض الدراسات فى علم النفس والتعرف على لغة القوم قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ"(١).

وروى أن رسول الله ﷺ " أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود ، قال زيد : حتى كتبت للنبى ﷺ كتبه اليهم، واقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه(٢).

٨- أن يتجمل بالعفة واليأس مما فى أيدى الناس ، ففى وصيته ﷺ لأحد أصحابه:" عليك بالأياس مما فى أيدى الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر "(٣).

وقال الحسن البصرى لا يزال الرجل كريما عل الناس حتى يطمع فى دنياهم، فإن فعل ذلك استخفوا به ، وكرهوا حديثه وأبغضوه .

وقال أعرابى لأهل البصرة من سيدكم؟ قالوا: الحسن البصرى، قال : بم سادكم؟ قالوا : احتاج الناس إلى علمه ، واستغنى عنهم، فقال ما أحسن هذا .

٩ - أن يكون الواعظ أو الداعية ملما بثروة كلامية يختار منها خير الأساليب التى يمتلك بها قلوب سامعيه .

١٠- أن يكون ذا فراسة يتعرف حال سامعيه ، وفى الحكم المأثورة: من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك(٤) . وهذه الشروط جدير بها اذا التزم بها الداعى أو الواعظ أن تجعل وعظه مفيداً ومثمراً لدى المستعمين كما تجعله شخصياً فى المكانة اللائقة بنظر المجتمع له من حوله .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٤.

(٢) أخرجه أبو داود فى كتاب العلم باب حديث أهل الكتاب جـ ٣ ، ص٣١٧.

(٣) أخرجه الحاكم فى المسندرك كتاب الرقاق باب " إياك والطمع فإنه الفقر الحاجز" جـ ٤، ص ٣٢٦ وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٤) منهج القرآن والسنة فى الدعوة د/ محمود كريت ص ٨٢-٨٥ (بتصرف ، مرجع سابق.

المطلب الثانى : الموعظة الحسنة من القرآن الكريم :

تمهيد :

والموعظة الحسنة لو تدبرنا القرآن الكريم لوجدناه ممتلىء بها وليس المراد هنا ذكرها من القرآن على سبيل التفصيل هنا بل أكتفى فى هذا المطلب بذكر بعض نماذج الموعظة الحسنة من القرآن الكريم لتكون نبراساً يضىء لنا الطريق ويهدينا سواء السبيل.

النموذج الأول

وهذا النموذج للموعظة الحسنة فى دعوة شعيب عليه السلام مع قومه قال تعالى : (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) (هود : ٨٤-٨٧) . إلى قوله تعالى : مخبرا ما قاله شعيب عليه السلام لقومه : (وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ * قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (هود: ٨٩-٩٢) إلى أن فصل الله بينه وبين قومه بقوله : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) (هود:٩٤) .

ومن مظاهر الموعظة الحسنة فى قصة شعيب عليه السلام مع قومه أنه استثار فيهم عوامل الخير بقوله (بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) (١) ، وقوله لهم " إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط" (٢)، فرغبهم عليه السلام فى الخير والإيمان بأسلوب لين مبينا لهم جزاء ذلك عند ربهم كما حذرهم من عذاب الله الذى يستحوذ عليهم

---

(١) هود من الآية رقم ٨٦ .

(٢) هود من الآية رقم ٨٤ .

يوم القيامة جزاء بغيهم وإعراضهم عن الله . وهذا دليل على حسن تصرف الداعى ليكون أسلوبه مناسبا للمخاطب ومؤثرا فى نفسه وعاطفته(١) . وهذا النموذج يعلم الدعاة من خلال الحوار بين شعيب عليه السلام وقومه كيف يطبقون أسلوب الموعظة الحسنة وهم يباشرون مهام تبليغ الدعوة .

النموذج الثانى

وهذا النموذج يحتوى على صورة من المواعظ التعليمية وأخرى من المواعظ التأديبية ، وثالثة من المواعظ التى جاءت على هيئة وصايا(٢) وكل هذه المواعظ جاءت بكثرة فى القرآن الكريم وسأذكر من كل نوع صورة واحدة كمايلى :

١- من المواعظ التعليمية ما جاء فى القرآن بعد ذكر ما يتعلق بآيات الطلاق يقول تعالى : (ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الأخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ)(البقرة: من الآية٢٣٢) .

فهذه الآية خطاب للنبى ﷺ ثم رجوع إلى خطاب الجماعة ، وقد ذكرت بعد ما تقدم من الآيات التى تتحدث عن الأحكام والشرائع والحدود وهذه جاءت مقترنة بالحكم وجاء بعدها الوعد والوعيد وهذا يفيد أن الذى تقدم من الأحكام والحدود المقرونة بالحكم والمشفوعة بالوعد والوعيد ، وكما يذكر الشيخ على محفوظ (٣) : من أول قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى)(البقرة: من الآية١٧٨) إلى آخر الآية: (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله)(البقرة: من الآية٢٣٢)، وما تضمنته من أحكام القتل وما يتبعه من قصاص وغيره ، والوصية لمن حضره الموت وأحكام الصيام والجهاد والنفقة والحج وحكم الخمر والميسر ونكاح المشركين والمشركات ثم بيان حكم الحيض والطلاق

---

(١) الأسس الفنية للدعوة الإسلامية فى ضوء القرآن والسنة د/ خليفة حسين العسال ، ص ٣١٠، بحث بحولية كلية أصول الدين (مرجع سابق) .

(٢) الدعوة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة د/ محمد رجب الشنيوى ، ص ١٤٤، ١٤٥ (بتصرف) مرجع سابق .

(٣) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ، ص ١٣٣ (مرجع سابق) .

والإيمان، كل هذا تضمنته الآيات الكريمة قبل هذه الآية ومن ثم كانت موعظة بليغة .

٢- من المواعظ التأديبية : ما جاء فى الآية : "(وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً)(النساء: من الآية٣٤) والموعظة بهذه الآية أن الله عز وجل يعظ الرجال ويأمرهم بالعمل بها فى تأديب النساء - فعلى الزوج أن يكون طبيبا نفسيا حيث يعظ أمرأته بما يناسبها ويلائم طبيعتها وموقفها، والتخويف من العقاب الإلهى عن التى يبيت زوجها وهو عليها غضبان، والتذكير بعواقب النشوز مما يكون عليه من طلاق وما يترتب عليه من تمزيق لكيان الأسرة وتشتيت للأبناء ، ثم ما عسى أن يكون فى الآخرة من نعيم مقيم لمن يرضى زوجه ويرضى ربه ، وتلك هى الموعظة الحسنة.

٣- ومن المواعظ التى جاءت على هيئة الوصايا :

ما جاء فى القرآن الكريم وفى سورة لقمان المواعظ التى ذكرها لإبنه وهى وصايا قرآنية ينتفع منها المسلمون إلى قيام الساعة قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان:١٣) وقوله : (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ* وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (لقمان:١٧-١٩) ، وكل هذه العظات بالآيات السابقة من جملة ما ذكره الله عز وجل فى كتابه الكريم الملىء بالعظات والعبر .

المطلب الثالث : الموعظة الحسنة من السنة النبوية الشريفة :

النبى ﷺ بسنته المظهرة التى تمثل المصدر الثانى من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم وهى التى بها البيان والتفصيل لما أجمل فى القرآن الكريم وأمر الله فى كتابه بطاعة رسوله وجعلها من طاعته ، فقال تعالى : (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) (النساء:٨٠) ، ولأن الموعظة من أساليب الدعوة والرسول ﷺ هو الأسوة والقدوة للدعاة فسنته مليئة بالمواعظ وكان ﷺ كثيراً ما يتخول أصحابه بها . فعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : كان النبى ﷺ يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا" ، ولأن الإنسان دائما فى حاجة إلى الموعظة كانت فى كل أسبوع مرة وهى المتمثلة فى خطبة الجمعة . وسأسوق بعض النماذج من الموعظة من السنة النبوية الشريفة :

النموذج الأول : ما ذكره ابن هشام فى سيرته :

قال ﷺ فى أول خطبة له بالمدينة : بعد أن حمد الله وأثنى عليه. أما بعد أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فينظرن يمينا وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل، من لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(١) .

النموذج الثانى : ما جاء فى فتح البارى لإبن حجر:

عن أنس رضى الله عنه قال : بينما نحن فى المسجد مع رسول الله ﷺ : إذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه ، قال ﷺ لاتزرعوه ، دعوه فتركوه حتى بال ، ثم ان رسول ﷺ دعاه فقال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر،

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، مجدل ٢ ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، تحقيق محمد بيومى نشر مكتبة الإيمان المنصورة ، دار النصر للطباعة الإسلامية .

إنما هى لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن" (١) . فهنا النبى ﷺ يعلم أصحابه أسلوب الدعوة بالموعظة الحسنة وليست بالتعنيف أو الخشونة والشدة فإن الموعظة الحسنة أقرب للقبول والموافقة.

المبحث الثالث : الدعوة إلى الله بالمجادلة بالتى هى أحسن

تمهيد :

والمجادلة بالتى هى أحسن أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله عز وجل بنص الآية القرآنية : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:١٢٥) ، وكما يذكر الدكتور/ رؤوف شلبى فى كتابه الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى "(٢): لا تحامل على المخالف: ولا ترذيل له ولا تقبيح لفكره ومادام يريد أن يصل إلى الحق ، فالمجادلة بالتى هى أحسن صفة الكلمة التى ينبغى أن يستخدمها الداعية مع هذا اللون من الناس ، وليس هدف الداعية الغلبة ولا المخاصمة ولا الشهرة بالتفلسف ولكن هدفه توصيل دعوة الله فإذا احتاج الداعية مع صنف من الناس إلى جدال فليكن الجدال بالتى هى أحسن بالاقناع الموصل إلى الحق فى قالب الكلمة الطيبة بعيداً عن الحماس الشارد عن الحجة البيضاء وكثيراً ما يختلط على النفس البشرية قيمة رايها وقيمته عند الناس حتى ليصبح التنازل عن الرأى تنازلاً عن الهيبة والكيان . فحدد القرآن الكريم أسلوب التبليغ مع هذا الصنف " الجدل بالحسنى" فإنه هو الذى يطامن هذه الكبرياء الحساسة ويشعر المجادل بأن ذاته مصونة وقيمته محفوظة وكرامته موقرة وأن ما يقصده الداعية من مجادلته هذه إلا كشف الحقيقة فى ذاتها والاهتداء إليها حسبة لله لا ابتغاء نصر لرايه وهزيمة لرأى الآخر . (٣) .

(١) فتح البارى لابن حجر جـ ١ ، ص ٣٢٤ ، ج ١ ، ص ٥٢٥ ، صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٣ ، ص ١٩٦ ، متفق عليه .

(٢) الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى ، د/ رؤوف شلبى ، ص ٣٤٩ ، (مرجع سابق) .

(٣) فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ، ج ١٤ ، ص ١١٠.

المطلب الأول : تعريف المجادلة بالتى هى احسن لغة واصطلاحاً

أولاً : تعريفها فى اللغة :

جاء فى لسان العرب لإبن منظور : تحت مادة : "جدل" : الجدل: شدة الفتل وجدلت الحبل أجدله جدلا إذا شددت فتله وفتلته فتلاً محكماً ، والجديل : الزمام المجدول من أدم ، وجدول الإنسان بضم الجيم والدال: قصب اليدين والقدمين (الرجلين).

والجدالة : الأرض لشدتها ، وجادلت الرجل فجدلته جدلاً أى غلبته ، ورجل جدل اذا كان أقوى فى الخصام وجادله أى خاصمه مجادلة وجدالاً .

والإسم : الجدل وهو شدة الخصومة .

والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ([1]) .

وفى القاموس المحيط للفيروز آبادى : مادة جدل: الجديل حبل من أدم أو شعر فى عنق البعير ، ورجل مجدول : لطيف القصب محكم الفتل، وجدل بالضم وحذل: ولد الظبية وغيرها إذا قوى وتبع أمه، والأجدل وأجادل فرس أبى ذر رضى الله عنه والجديلة: القبيلة[2].

مما سبق يتضح أن مادة جدل تأتى بالمعانى الآتية:

١- بمعنى فتل الحبل وشده شدا محكما.
٢- وبمعنى المخاصمة والمناظرة.
٣- وبمعنى شدة الأرض وصلابتها.
٤-وبمعنى ولد الظبية وغيرها إذا قوى وتبع أمه.
٥- وبمعنى القبيلة إذا كانت قوية ومتماسكة ومترابطة.

ثانيا: تعريفها فى الاصطلاح:

وبالنسبة لتعريف المجادلة بالتى هى أحسن فى الاصطلاح فذكر العلماء لها عدة تعريفات اذكر منها:

١- هى عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة [3].

([1]) لسان العرب لابن منظور ، مجلد ١١ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ (بتصرف) .
[2]- القاموس المحيط للفيروز أبادى مادة جدل، ص ٨٧٨ (بتصرف)
[3]- الدعوة الإسلامية مدخل تعريف د/ خليفة حسين العال ص٢٩١. وقد عزاه إلى الجوينى (إمام الحرمين) الكافية ص٤١ تحقيق د/ فوقية حسين محمود ط الحلبى.

٢- هى منهج يقوم على مقابلة الأدلة لظهور أرجحها.
٣- أو هى الطريقة التى يواجه بها الداعية رد الفعل الذى تثيره الدعوة لدى المخاطبين نتيجة اختلاف أفكارهم عما جاءتهم به من عقيدة وسلوك[1].

وقد ذكر الله المجادلة بالتى هى أحسن مع أهل الكتاب أشعارا بأن البسطاء لا يجادلون إنما غالبا لا يجادلون إلا من أشربت فى قلوبهم عقيدة خاطئة ولذا قال تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون"[2].

وقد ذكر الإمام القرطبى فى تفسيره للآية من أولها إلى قوله تعالى: "إلا الذين ظلموا منهم": اختلف العلماء فى قوله تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب" فقال مجاهد هى محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتى هى أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله عز وجل والتنبيه على حججه وآياته رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا عن طريق الإغلاظ والمخاشنة، وقوله على هذا "إلا الذين ظلموا منهم" معناه ظلموكم، وقيل: المعنى لا تجادلوا من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ومن آمن معه، وقوله تعالى: "إلا بالتى هى أحسن" أى بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك وقوله على هذا التأويل: "إلا الذين ظلموا" يريد به من بقى على كفره. كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم، والآية على هذا أيضا محكمة. وقيل: هذه الآية منسوخة بآية القتال وهى: قوله تعالى: "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله"[3]، قال قتادة: "إلا الذين ظلموا" أى جعلوا لله ولدا، وقالوا: "يد الله مغلولة" و"إن الله فقير" فهؤلاء المشركون الذين نصبوا الحرب ولم يؤدوا الجزية فانتصروا منهم. قال النحاس وغيره من قال هى منسوخة احتج بأن الآية مكية ولم يكن فى هذا الوقت قتال مفروض. ولا طلب جزية ولا غير ذلك. ويعلق القرطبى قائلا: وقول مجاهد حسن لأن أحكام الله عز وجل لا يقال أنها منسوخة إلا بخبر يقطع العذر، أو حجة من معقول واختار هذا القول ابن العربى،

---

[1]- الدعاة إلى الله فى القرآن الكريم ومناهجهم د/ محمد طلعت أبو صير ص٢٥٦ ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م المطبعة العربية الحديثة.
[2]- العنكبوت آية ٤٦.
[3]- سورة التوبة آية ٢٩.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: وقوله "إلا الذين ظلموا منهم" معناه إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية[١].

وذكر الإمام الرازى بشأن هذه الآية: لما بين الله طريقة إرشاد المشركين ونفع من انتفع وحصل اليأس ممن امتنع بين طريقة إرشاد أهل الكتاب فقال: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن"، قال بعض المفسرين المراد لا تجادلوهم بالسيف وإن لم يؤمنوا إلا إذا ظلموا وحاربوا أى إذا ظلموا زائدا على كفرهم وفيه معنى ألطف منه وهو أن المشرك جاء بالمنكر عل ما بيناه فكان اللائق أن يجادل بالأخشن ويبالغ فى تهجين مذهبه وتوهين شبهه ولهذا قال تعالى فى حقهم (صم بكم عمى)[٢]. وقال: "لهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها"[٣]. إلى غير ذلك. وأما أهل الكتاب فجاءوا بكل حسن إلا الاعتراف بالنبى صلى الله عليه وسلم فوحدوا وآمنوا بإنزال الكتب وإرسال الرسل والحشر فالمقابلة إحسانهم يجادلون أولا بالاحسن ولا تستخف آراؤهم ولا ينسب إلى الضلال آباؤهم، بخلاف المشرك، ثم على هذا فقوله تعالى: "إلا الذين ظلموا منهم" تبين له حسن آخر وهو أن يكون المراد إلا الذين أشركوا منهم بأثبات الولد لله، والقول بثالث ثلاثة فإن ضاهوهم فى القول المنكر فهم الظالمون لأن الشرك ظلم عظيم فيجادلون بالأخشن من تهجين مقالتهم وتبين جهالتهم[٤].

وذكر صاحب الظلال : إن دعوة الله التى حملها نوح عليه السلام والرسل بعده حتى وصلت إلى خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لهى دعوة واحدة من عند إله واحد. ذات هدف واحد. هو رد البشرية الضالة إلى ربها وهدايتها إلى طريقه وتربيتها بمناهجه وإن المؤمنين بكل رسالة لإخوة للمؤمنين بسائر الرسالات: كلهم أمة واحدة، ثم يضيف قائلا :وهذه هى الحقيقة الرفيعة التى يقوم عليها الإسلام. والتى تقررها هذه الآية من القرآن هذه الحقيقة التى ترفع العلاقات بين البشر أن تكون مجرد علاقة دم أو نسب أو جنس أووطن أو تجارة ترفعها عن هذا كله لتصلها بالله، ممثلة فى عقيدة واحدة تذوب فيها الأجناس والألوان ويختفى فيها القوميات والأوطان ويتلاشى فيها الزمان والمكان. ومن ثم يكتنف المسلمين عن

١- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ج١ ص ٥٠٦٦ وما بعدها، (مرجع سابق).
٢- البقرة: ١٨.
٣- الأعراف: ١٧٩.
٤- مفاتيح الغيب: الفخر الرازى ج٣، ص٥٧٦، (مرجع سابق).

مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى، لبيان حكمة مجئ الرسالة الجديدة والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من صلة، والإقناع بضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور دعوة الله الموافقة لما قبلها من الدعوات المكملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر "إلا الذين ظلموا منهم" فانحرفوا عن التوحيد الذى هو قاعدة العقيدة الباقية وأشركوا بالله وأخلوا بمنهجه فى الحياة فهؤلاء لا جدال معهم ولا محاسنة وهؤلاء هم الذين حاربهم الإسلام عندما قامت له دولة فى المدينة. وإن بعضهم ليفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حاسن أهل الكتاب وهو فى مكة مطارد المشركين، فلما أن صارت له قوة فى المدينة حاربهم مخالفا كل ما قاله فيهم وهو فى مكة! وهو افتراء ظاهر يشهد هذا النص المكى عليه، فمجادلة أهل الكتاب بالحسنى مقصورة على من لم يظلم منهم ولم ينحرف عن دين الله[١].

والجدل قسمان: الأول ممدوح والثانى مذموم، لأن المجادلة قد تكون بالحسنى وقد تكون بالباطل، قال تعالى: "وجادلهم بالتى هى أحسن"[٢]، وقال: "وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق"[٣]، ومن هنا كان تقسيم الجدل إلى ممدوح ومذموم بحسب الغاية منه وطريقة المجادلة:

فالجدل الممدوح: هو الذى يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته، ويكون بأسلوب صحيح مناسب يؤدى إلى خير وهو الذى أقره الله وأمر به فى قوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن" وقوله: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن"[٤].

والجدل المذموم: هو الذى لا يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته ولم يسلم أسلوبه كأن كان منفرا قاسيا تستعمل فيه الألفاظ الجارحة والتنابز بالألقاب[٥].

وهناك شروط لإباحة الجدل والمناظرة أوردها الإمام الغزالى فى إحيائه أذكر من أهمها:

١- فى ظلال القرآن/ للشيخ سيد قطب جـ٥ ص ٢٧٤٥- ط دار الشروق.
٢- النحل ١٢٥.
٣- غافر ٥.
٤- العنكبوت: ٥٦.
٥- الأسس الفنية للدعوة الإسلامية د/ خليفة حسين العسال ص٣١٧ من الحولية (مرجع سابق).

١- أن يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب معين حتى إذا ظهر له الحق فى مذهب ما أخذ به وأفتى بما يظهر له كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم. والأئمة، بمعنى لا يستبد برأيه بل يعمل عقله فى الحصول على الصواب.

٢- أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق. فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى إن امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس. فقال أصابت امرأة وأخطأ عمر، واستدرك بن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألونى عن شئ وهذا الحبر بين أظهركم.

٣- أن لا يمنع معينه (أى الذى يناظره أو يجادله) فى النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى غيره. فهكذا كانت مناظرات السلف، ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه. كقوله: "هذا لا يلزمنى ذكره" وتنقضى المجالس فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم فى الأصل معلل بهذه العلة؟ فيقول: هذا ما ظهر لى. فيقال له: فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه، فيصر المعترض ويقول: فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها إذ لا يلزمنى ذكرها، ويتوخى مجالس المناظرة أو المجادلة بنفس هذا الجنس من السؤال، إذ أن قوله: إنى أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمنى كذب على الشرع فإنه إن كان يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وإن كان صادقا فقد فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع.

٤- أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه. ممن هو مشتغل بالعلم والغالب من المناظرين أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم. فيرغبون فيمن دونهم طمعا فى ترويج الباطل عليهم[١].

١- إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ج١ ص٤٥، ٤٦ (بتصرف)، (مرجع سابق).

وهذه الشروط السابقة هى من أهم الآداب التى بدونها تخرج المجادلة أو المناظرة عن الجدل الممدوح وتصل إلى الجدل المذموم وهذه الشروط وغيرها من آداب المناظرات لابد أن يعرفها الداعى ويكون على بينة وبصيرة حتى تكون مجادلته بالتى هى أحسن فتجتمع حوله الأفئدة. بخلاف الجدل المذموم فإنه يؤدى إلى المخاصمة والمشاتمة واللجاجة وغير ذلك من الصفات الذميمة، والتى تحول بين الداعية وبين المنهج الصحيح للدعوة الإسلامية والأسلوب الأمثل.

المطلب الثانى: المجادلة بالتى هى أحسن من القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم هو الشامل لكل مناهج الحياة وإذا كان الله أمر بالمجادلة بالتالى هى أحسن فى قوله تعالى: "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن"[١]، وهو أسلوب من أساليب الدعوة مع الحكمة والموعظة وقد ذكرت سابقا بعض النماذج من القرآن لأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة. فأسوق هنا بعض النماذج القرآنية لأسلوب المجادلة بالتى هى أحسن.

النموذج الأول: مجادلة إبراهيم عليه السلام للذين ألهوا الكواكب: وذلك عندما اتجه إبراهيم إلى أهل حران أرض الكنعانيين الذين كانوا يعبدون الكواكب بالدعوة إلى الله عز وجل ونبذ هذه الآلهة وذلك بأسلوب المجادلة بالتى هى أحسن حيث أنه أرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال مبينا أن النظر الصحيح إلى هذه الكواكب يؤيد أنها لا تصلح أن تكون آلهة وذلك لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها وسيرها وسائر أحوالها[٢].

قال تعالى: "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى رب لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إنى برئ مما تشركون، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين،

١- النحل: ١٢٥.

٢- البداية والنهاية لابن كثير ص١٤٠ (مرجع سابق)
والدعوة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة د/ محمد رجب ص ١٥٥ (بتصرف) مرجع سابق.

وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شئ علما أفلا تتذكرون"[١] إلى قوله تعالى: "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم"[٢].

النموذج الثانى: وهو يتمثل فى جدال الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم: فقد جادلوه فى أمور كثيرة منها:

البعث فجاء أبى بن خلف يعظم قدرم وبلى وفتته بيده وقال: يا محمد أترى أن الله يحيى هذه العظام بعد أن رمت وبليت. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: نعم ويبعثك ويدخلك النار ونزل القرآن الكريم بقول الله عز وجل: "وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم"[٣].

فقاس القرآن الكريم الإعادة على خلق النار من الشجر الأخضر بجامع القدرة على تبديل الأعراض فى كل وهو أشبه بأن يكون من قياس التمثيل أو المساواة، وقياس الإعادة على خلق السموات والأرض قياسا أوليا[٤].

المطلب الثالث: المجادلة بالتى هى أحسن من السنة النبوية المطهرة:

والمجادلة بالتى هى أحسن لها نماذج كثيرة يستفيد منها الدعاة كأسلوب من أساليب تبليغ الدعوة الإسلامية وأسوق نموذج من السنة على سبيل المثال لا الحصر.

النموذج: ذكره ابن هشام فى السيرة النبوية:

روى ابن اسحاق قال: حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس فى نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده فى المسجد ثم

١- الأنعام: ٧٥-٨٠.
٢- الأنعام ٨٣.
٣- يس ٧٨-٨١.
٤- الإتقان فى علوم القرآن ج٢ ص١٣٥، نقلا عن كتاب الدعوة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة د/محمد رجب الشيوى، ص١٥٨ (بتصرف) مرجع سابق.

قال: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة وراوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون. ويكثرون فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من الشرف فى العشيرة والمكان فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به ألهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل بعضها قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له: يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منى قال: أفعل، فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم، حم، تنزيل من الرحمن الرحيم، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون"[١]، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك[٢].

فهذه والقصة التى أوردها ابن هشام تفيد بأن النبى صلى الله عليه وسلم التزم بجانب أسلوب المجادلة بالتى هى أحسن حيث أن رد على عتبة بأعظم الكلام وهو كلام الله عز وجل

هذا وبالله التوفيق

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

الراجى عفو ربه

د/ رمضان عبد المطلب خميس

١- فصلت ١-٤
٢- السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٢٩٢ (مرجع سابق)

مراجع البحث

القرآن الكريم
١- لسان العرب- لابن منظور- دار الفكر للطباعة.
٢- القاموس المحيط للفيروز آبادى- دار الفكر ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٣- التفسير الكبير للإمام الرازى ط. دار بيروت ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٤- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعى ط: بولاق- ١٣٢١هـ
٥- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
٦- الأسس الفنية للدعوة الإسلامية د/ خليفة حسين العسال، بحث نشر بحولية كلية أصول الدين القاهرة، العدد ١١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٧- منهج القرآن والسنة فى الدعوة د/ محمود يوسف كريت ط:١ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، مطبعة النهضة العربية.
٨- منهج الدعوة الإسلامية فى ضوء القرآن والسنة النبوية، د/ عبد القادر سيد عبد الرؤوف ط: ١ ١٤١٣هـ-١٩٩٢م دار الطباعة المحمدية.
٩- الدعوة الإسلامية أركانها ومناهجها (للباحث) ط:١ ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م دار الطباعة المحمدية.
١٠- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى دار الريان للتراث.
١١- فقه الدعوة إلى الله/ عبد الرحمن حسن حنبكة الميدانى ط: ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م نشر دار القلم دمشق.
١٢- التفكير الفلسفى فى الإسلام د/ عبد الحليم محمود ط٣ ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م- مطابع دار النصر.
١٣- الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى د/ رؤوف شلبى ط٣- ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م دار القلم الكويت.
١٤- السيرة الحلبية للعلامة على بن برهان الدين الحلبى ط٣ ١٣٥١هـ- ١٩٣٢م، المطبعة الأزهرية.
١٥- البداية والنهاية لابن كثير ط: دار الفكر- بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
١٦- السيرة النبوية لابن هشام ط١ ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م مكتبة الإيمان.
١٧- الدعوة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنة د/ محمد رجب الشتيوى ط١: ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م دار الطباعة المحمدية بالقاهرة.

١٨- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم للعلامة الألوسى- ط. المطبعة المنيرية.
١٩- فى ظلال القرآن للشيخ سيد قطب ط٢٤ ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٢٠- هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ط٥ دار الاعتصام.
٢١- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى نشر دار إحياء التراث العربى.
٢٢- صحيح مسلم بشرح النووى نشر دار الفتح الإسلامى.
٢٣- الدعاة إلى الله فى القرآن الكريم ومناهجهم د/ محمد طلعت أبو صير ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، المطبعة العربية الحديثة.
٢٤- إحياء علوم الدين للإمام إبى حامد الغزالى- دار الفكر بيروت- ١٤١٤هـ- ١٩٩٥م.
٢٥- سنن أبى داود السجستانى ط. دار الحديث- القاهرة.
٢٦- المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله الحاكم ط. النصر الحديثة.